

يملك من المسلمين في هذه البقاع المترامية الأطراف عقائدهم وقلوبهم فحسب، فقد حاول أيضا أن يملك ألسنتهم، فإذا هم يصبحون عرباً ينطقون العربية، ويتخذونها لساناً لهم لا في الصلاة وشعائر الإسلام فحسب، بل أيضا في حياتهم العاملة، ويَشْرِكهم في ذلك من بقى من أهل بلدانهم على دينه، بحيث أصبحت البلدان المفتوحة جميعاً عربية لغةً ولساناً.

ومعروف أن سكان تلك البلدان كانوا يتكلمون لغات مختلفة، فقد كان الفرس يتكلمون لغتهم الفارسية، وكان سكان العراق يتكلمون النبطية والآرامية، وكان سكان الشام يتكلمون الآرامية واليونانية، ويتكلم أهل مصر القبطية واليونانية، بينما كانت تتكلم شواطئ إفريقيا وإسبانيا اللاتينية، فكل تلك اللغات زابت ألسنة هؤلاء السكان، وحلت محلها العربية، وبذلك تحوّلوا عرباً، وقد أقبلوا إقبالا منقطع النظير على العربية يتعلمونها ويستوعبون أصولها وقواعدها ومقوماتها وأوضاع التعبير فيها، مهملين لغاتهم مهما غنيت بآداب وعلوم وحضارات، شاعرين بأن لغة القرآن لا تدانيها لغة في بيانها وبلاغتها، وكل ذلك بفضلها فهو الذي نشر العربية وهو الذي حفظها وصانها من الضياع والفناء إلى اليوم، إذ جعلها لغة حية باقية خالدة.

ولم يمنح القرآن الكريم العربية هذا الخلود والانتشار في العالم فحسب، بل منحها أيضاً مرونة هائلة في التعبير عن شريعته الإلهية وأركانها من الإيمان والعقيدة ومثالياتها الخلقية الرفيعة وقيمها الروحية والعقلية والاجتماعية والإنسانية، مما كتب فيه علماء الكلام وفقهاء الشريعة المجلدات الضخام. وعادة يتحدث مؤرخو الأدب العربي عن ألفاظ نقلها الذكر الحكيم من معانيها اللغوية إلى معانيه الشرعية الاصطلاحية مثل الصلاة والصيام والزكاة والوضوء والركوع والسجود والتميم. وفي الحق أن مضامين القرآن الكريم ومعانيه تعدّ بدءاً جديداً لا عهد للعربية به، وقد وسّع طاقتها لا لتحمل تعاليم الدين الحنيف وعلوم الشريعة فحسب، بل أيضا لتحمل العلوم عامة، بحيث أصبحت سريعا لغة علمية بأدق معنى للغة العلمية المحكمة.